مركز البابوية في الموروث الديني المسيحي

د. وليد عبد الحميد خلف فرج الله الأسدي
عميد كلية الدراسات الإنسانية

جامعة الكوفة

المقدمة :

شغلت البابوية الأوساط الدينية (مسيحية كانت أم غيرها) لأكثر من ستة عشر قرنا سواء كان ذلك فيما يتعلق بمفهومها أم بمشروعيتها أم بأبعادها الدينية والتاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وأثر ذلك على الأمم والشعوب بأجيالها طيلة تلك المدة الزمنية .

وفي خضم الصراع المحتدم اليوم بين الحضارات والمساجلات بين الثقافات والمجادلات بين الرؤى والأفكار ظهرت هنا وهناك في العالم المسيحي دعوات إلى الالتفاف حول البابوية والمناداة بضرورة مركزيتها في معادلات صراع الحضارات وحوارها ، الأمر الذي استلزم ضرورة البحث في مركزيتها .

ولاستنطاق الحقيقة في كل ذلك والبرهنة على فرضيات هذا البحث فقد قسمته إلى مباحث : أولها في مفهوم البابوية ومشروعيتها وتعيين البابا ، وثانيها في نشأة البابوية وعوامل قوتها ، وثالثها في أبعاد نفوذ البابوية وقوتها ، ورابعها في ضعف البابوية وعومل تدهورها .

وبعد هذا وذاك وبذل الجهد والطاقة فقد جاء البحث في حلته هذه فإن أحسنت فبتوفيق من الله سبحانه وتعالى وإلا فعذري بذل مجهودي .

المبحث الأول ـ مفهوم البابوية ومشروعيتها وتعيين البابا :

إن لتحديد مفهوم البابوية أهمية كبيرة من جهتين : أولهما تعريفها ببيان اشتقاقها اللغوي ومدلولها الاصطلاحي ، وثانيهما الكشف عن ارتباط هذا المفهوم بالسيد المسيح (ع) من حيث الزمان والمكان من عدمه ، ومن ثم لا بد من البحث في أسس مشروعيتها لاستكشاف كونها أقرت بوحي إلهي أم صنعتها أوهام البشر ، وبعد هذا وذاك لا بد من تشخيص آليات تعيين البابا وخضوع ذلك لإرادات المتنفذين ، وهذا هو موضوع المبحث الأول الذي قسّم إلى المطالب التالية :

المطلب الأول ـ مفهوم البابوية لغة واصطلاحا :

اختلف الباحثون في الأصل اللغوي لمفردة " بابا " على قولين :

الأول : أنها مأخوذة من الكلمة اليونانية " باباس " ، ومعناها " الأب " ، وعليه فأصلها يوناني [1] .

الثاني : أنها مأخوذة من الكلمة القبطية " بي بابا " ، ومعناها " الأب " أيضا ، وعليه فإنه لقب ظهر أولا في مصر فنقل منها ليطلق على صاحب كرسي بطرس الرسول في روما [2] .

وأما اصطلاحا فإن البابوية رتبة أسقفية ومركزية سلطوية يتقلدها أسقف كنيسة روما بصفته المسؤول الأول في الطائفة الكاثوليكية ، والذي يدعى فور تقلده ذلك بـ" البابا " أو " الحبر الأعظم " لأنه حسب رؤيتهم أصبح قمة الهرم الإداري والمرجع الروحي فيها [3] .

ويتضح لنا من ذلك أن مفهوم البابوية لا يمت إلى المسيح بصلة لا من حيث الزمان ولا المكان ، لأنه مصطلح لم يستعمل في زمانه ولم تعرف تلك المفردة في لغته ولم يكن لتلك الرتبة وجود في عصره ولم يشر إليها لا بقول ولا بفعل ولا بتقرير لا تصريحا منه ولا تلميحا .

المطلب الثاني ـ مشروعية البابوية في الموروث المسيحي :

يخضع الكاثوليك في أنحاء العالم للبابا فيُعظّمونه ويخاطبونه بمصطلح التعظيم " قداستك " [4] ، لأنهم يعتقدون أنه خليفة القديس بطرس الذي نصبه المسيح خليفة له فجعله مؤسس كنيسته وأعطاه مفاتيح السماوات وبيّن أنه صاحب الحل والعقد ، حيث ورد في إنجيل متى أن المسيح خاطب بطرس بقوله : (وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي ، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا * وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ ، فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ . وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاوَاتِ) [5] ، ويدعي أساقفة روما أنهم ورثة مزايا القديس بطرس وخلفاؤه في منصبه [6] .

وأعلنت البابوية أن البابا هو ممثل المسيح في الأرض لأنه خليفة بطرس وامتداده الروحي وأن المسيح هو الذي نصّب بطرس خليفة له وممثلا عنه ، يقول البابا لاوون الأول : (فما أصبنا في فعل شيء أو في صدور قرار ، وما حصلنا عليه من شيء من رحمة الله ، بما درجنا كل يوم على تأديته من صلوات وتوسلات ليس إلا من عمل بطرس ومن خلاله ، ذلك الذي تتركز قوته في مقره والذي تفوق سلطته كل شيء)[7] .

يقول البابا " أنوسنت الثالث " (8 / كانون الثاني / 1198 م - 16 / تموز / 1216 م) : " نحن خلفاء أمير الرسل ولسنا نواب عنه ، بل ولسنا نوّابا لأحد من بني البشر حتى الرسل ولكنّا نواب يسوع المسيح نفسه " [8] ، ولذا أطلق هذا البابا على نفسه لقب " وكيل المسيح " [9].

ولذا انقاد جمهور المسيحيين إلى مقولة خلافة البابوية للمسيح وأن بيدها سلطان الحل والعقد ومفاتيح الجنة والنار وملكوت السماوات [10].

وحقيقة الأمر أن مشروعية البابوية إنما هي مجرد ادعاءات ادعاها البابوات دون أن يقيموا عليها دليلا مقنعا ، وقد مرت بمرحلتين :

الأولى : ادعاء تقدم كرسي روما في الرتبة الدينية ، وهي دعوى أول دعاتها البابا " يوليوس الأول " (6 / شباط / 337 - 12 / نيسان / 352 م) في رسالته الموجهة سنة (341 م) إلى الكرسي الانطاكي والموسومة " أوليّة الكرسي الروماني " [11] .

الثانية : تحول دعوى تقدم كرسي روما في الرتبة الدينية إلى سلطة دينية مقدسة للكاردينال الجالس على ذلك الكرسي " البابا " من أهم أبعادها عصمة البابا ومغفرته الخطايا ، وأول من ادعى ذلك البابا " زوسيموس " (18 / آذار / 417 - 26 / كانون الأول / 418 م) في رسالته الموجهة سنة (418 م) إلى مجمع قرطاجنة والموسومة " سلطان أسقف روما العقيدي " [12] .

ولكن انقسام البابوية في المدة الزمنية (1378 - 1417 م) إلى ثلاث بابوات متصارعين ومن ثم عزلهم جميعا واختيار غيرهم سبب تشكيكا بمقولة مشروعيتها وقدسيتها وأثار جدلا محتدما ونقاشا عارما في مضمون هذه المقولة وأسسها وحتى دعا بعض المفكرين حينها إلى إعادة النظر في حقيقة البابوية ومشروعيتها والتأمل في شخصية البابا ودوره ومسؤولياته ومصدر سلطته مشككين في خلافتها للقديس بطرس مستنتجين أن البابوية منصب ابتدعه البشر من دون أمر إلهي [13] .

ويبدو جليا من إمعان النظر في كل ذلك أن مشروعية البابوية مجرد ادعاء من البابوات من دون دليل لا من أقوال المسيح ووصاياه ولا من نصوص الأناجيل ولا من حكم العقل ، بل أنه ربما يلزم الدور من ذلك الإدعاء لأنهم هم الذين يدعون مشروعيتهم فادعائهم متوقف على شرعية قولهم وشرعية قولهم تتوقف على ادعائهم .

المطلب الثالث ـ تعيين البابا :

بعد أن أرسى الإمبراطور قسطنطين وحلفاؤه الأساقفة التابعين لمنهج " بولس " دعائم البابوية أوجد كرادلة روما آليات لتعيين البابا يمكن إيجازها بما يلي :

1 ـ ينتخب البابا من بين الكرادلة " أعلى درجات رجال الدين المسيحيين " [14] ، ويجب أن يكون البابا من كرادلة كنيسة روما ، فإن لم يوجد منهم شخص مناسب لتولي البابوية يصار إلى اختيار البابا من كرادلة كنيسة أخرى غير كنيسة روما .

2 ـ مكان اختيار البابا في مدينة روما ، فإن تعذر فيها يتم اختياره في مكان آخر يتفق عليه كرادلة الكنيسة الكاثوليكية وأساقفتها .

2 ـ ينتخب البابا مدى الحياة .

3 ـ يمكن للبابا أن يستقيل ، ولكنه لا يُقال .

5 ـ كان البابوات ولغاية النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي ينتخبون من جميع رجال الدين المسيحيين وليس الكرادلة فقط ، وكان للملوك والأباطرة والأمراء والقادة والزعماء تأثير في انتخاب البابا وفي تعيين الوظائف الدينية في الكنيسة .

6 ـ واعتبارا من النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي تقرر ما يلي :

أ ـ ليس للملوك والأباطرة وغيرهم رأي وتأثير في انتخاب البابا .

ب ـ لا يشارك في هذا الانتخاب إلا الكرادلة فقط دون غيرهم من رجال الدين المسيحيين .

جـ ـ تتبع الآلية الآتية في اختيار البابا :

أولا : يجتمع كرادلة روما وضواحيها فيختارون البابا .

ثانيا : يجتمع بقية كرادلة الكنيسة الكاثوليكية وأساقفتها لإقرار اختيار كرادلة روما .

ثالثا : يُعرض بعدئذ اختيار البابا هذا على بقية المنخرطين في السلم الوظيفي للكنيسة الكاثوليكية وعلى عامة الكاثوليك للموافقة عليه [15].

7 ـ قرر المجمع اللاتراني الثالث [16] سنة (1179 م) ما يلي :

أ ـ لجميع كرادلة الكنيسة الكاثوليكية حق اقتراع متساو وليس لكرادلة كنيسة روما فقط .

ب ـ إن اختيار البابا إنما يتم بأغلبية ثلثي كرادلة الكنيسة الكاثوليكية [17].

8 ـ قرر مجمع ليون الثاني [18] سنة (1274 م) ما يلي :

أ ـ يجتمع جميع كرادلة الكنيسة الكاثوليكية في اليوم العاشر لوفاة البابا في قاعة مغلقة للتشاور في اختيار البابا الجديدمن دون انتظار للمتخلفين عن الموعد المحدد للاجتماع .

ب ـ بعد اختيار الكرادلة للبابا ، تعرض عليه البابوية فإن قبلها يختار هو لنفسه اسما ، فيعلن اسمه لجميع الكرادلة .

جـ ـ يُعلن أكبر الكرادلة سنا البابا المختار للجمهور .

د ـ يتوج البابا رسميا في مراسيم خاصة [19].

نستنتج من كل ذلك أن كرادلة روما ممن يتعبدون بتنظير بولس للمسيحية وبدعم من الإمبراطور قد وضعوا آليات لانتخاب البابا من بينهم دون أن يستندوا في ذلك إلى دليل معتبر أو نص إنجيلي أو وصية من المسيح (ع) .

المبحث الثاني : نشأة البابوية وعوامل قوتها :

تأثرت مركزية البابوية في المسيحية بعوامل الزمان والمكان فتغيرت بتغير القرون واختلفت باختلاف الظروف والملابسات ، ولذا فقد مرت قبل ضعفها في العصر الحديث بمرحلتي النشأة والنفوذ ، وكان لقوتها عوامل متعددة ، ويمكن إيجاز ذلك بمطلبين :

المطلب الأول ـ نشأة البابوية ونفوذها :

كان للإمبراطور قسطنطين الأول أثر كبير في صياغة المسيحية الحالية التي نظّرها بولس ، ففي خضم الصراع الديني في إطار الصف المسيحي بين قطبي المسيحية حينذاك وهما القطب التوحيدي الذي يؤمن بأن المسيح عبد الله ورسوله وتبناه غالبية أساقفة المسيحيين وجل رهبانيهم ، والقطب المغالي الذي يؤمن بألوهية المسيح وأنه ابن الله تجسد بشرا ليصلب تكفيرا عن الخطيئة الأصلية وتبناه أتباع بولس الذين كانوا أقلية أساقفة المسيحيين وبعض رهبانيهم ، في خضم ذلك الصراع تبنى الامبراطور قسطنطين الاتجاه المغالي واتخذ قرارات حاسمة نفذها أفعالا جساما من أهمها استئصال الاتجاه التوحيدي رجالا وعقيدة وفكرا وتراثا بالحديد والنار والقتل والاضطهاد والتحريف والتزييف .

ومن إجراءاته العملية منح الإمبراطور قسطنطين الأول البابا سلفستر القسم الغربي من امبراطوريته وقصر اللاتيران ووهبه التاج والأرجوان ، ومنذئذ حل رجال الإكليروس محل مجلس السناتو في روما وتبوء الأساقفة مناصب حكام الأقاليم [20] ، وذلك عندما ترك الإمبراطور قسطنطين الأول روما وانتقل إلى عاصمة إمبراطوريته الجديدة " القسطنطينية " في سنة (330 م) [21].

وبذلك فقد أرسى قسطنطين سيادة البابوية المطلقة على روما وإيطاليا والولايات الغربية [22] ، وتربعت البابوية على عرش مفاخر روما وتراثها وتاريخها [23] .

إن لإيمان غالبية المسيحيين بمقولة خلافة البابوية للقديس بطرس قد منحها الزعامة الدينية والسلطة الروحية والتي تعاظمت ليخضع لسلطانها حتى الملوك والأباطرة ، ولذا أصبحت البابوية مرجعية دينية ورئاسة سياسية وقيادة عسكرية ذات أبعاد استراتيجية في المعادلات الاقليمية والعلاقات الدولية .

المطلب الثاني ـ عوامل قوة البابوية ونفوذها :

وتظافرت منذ القرون الأولى عوامل مختلفة نجم عنها تنامي قوة البابوية وزيادة نفوذها ، وهي :

أولا ـ العامل الإداري والسياسي :

ومنذ القرن الرابع الميلادي نظمت البابوية الكنائس التابعة لها تنظيما إداريا مستوحى من التنظيم الإداري المعمول به في الامبراطورية الرومانية [24] .

لقد أدت هجمات البرابرة في القرن الخامس الميلادي على الجزء الغربي من الامبراطورية الرومانية إلى إنهيار قوتها فظهرت البابوية والكنائس التابعة لها على أنها القوة الوحيدة المسيطرة على الأوضاع وغدا البابا هو الزعيم وقساوسته قادة التف حولهم الناس [25] ، وبعدما أقنعت البابوية الغزاة على التفاوض فرعت المفاوضات مع الغزاة الجرمان في روما سنة (410 م) ومع الغزاة المغول سنة (452 م) تعاظم نفوذ البابوية وزادت هيبتها ومكانتها رفعة في نفوس الشعوب الأوروبية عامة والايطاليين خاصة [26] .

وحظيت البابوية بدعم بعض الملوك في أوروبا الغربية ، منهم الملك " كلوفيس " (481 - 507 م) ملك الساليين الذي كان يحكم أجزاء من إسبانيا وفرنسا [27]والذي اعتنق المذهب الكاثوليكي سنة (482 م) فخضعت بلاده لسيطرة البابوية دينيا والتي كافأته بأن اعتبرته ملك الكاثوليك وحاميهم الرسمي [28]

وبدأت سلطة البابوية تتعاظم حتى استقلت عمليا في شؤون السياسة والحكم عن الامبراطورية الرومانية تدريجيا منذ القرن السادس الميلادي حتى فرض البابا هيمنته المطلقة على جميع الكنائس في العالم الغربي من الامبراطورية الرومانية [29] ، مما أتاح للبابوية الإنفراد بالسيطرة على الأوضاع السياسية والدينية هناك [30].

وفي عام (800 م) تحالفت البابوية مع الأسرة الكارولنجية الجرمانية فتكونت الامبراطورية الرومانية المقدسة بين ألمانيا وإيطاليا في عهد الإمبراطور شارلمان " شارل الكبير " [31] ، وتلقت البابوية الدعم المطلق من هذه الإمبراطورية ضد المنشقين عنها سواء كانوا في الغرب أم كانوا أباطرة الإمبراطورية البيزنطية في الشرق [32] .

ثانيا ـ العامل الديني :

ويتمثل بالارساليات التبشيرية وهي منظمات دينية مسيحية تستهدف تعليم الدين المسيحي ونشره في دولة ما أو في خارجها ، وقامت هذه الإرساليات بنشر المسيحية في أوربا وأمريكا وآسيا وأفريقيا ، وشاركت هذه الإرساليات في السيطرة على الشعوب [33] ، وأرسل البابوات البعثات التبشيرية (التنصيرية) إلى جميع أرجاء أوروبا لتوسيع نفوذ الكنيسة الكاثوليكية [34] ، ومن أهم الانجازات التي حققتها :

1 ـ اتخاذ ملك إسبانيا ريكارد (586 - 601 م) الكاثوليكية عقيدة قومية لمملكته ، وغدت علاقته حميمة بالبابا " غريغوريوس الأول " فتعاظم نفوذ البابوية في إسبانيا منذ أواخر القرن السادس الميلادي حتى طغت سلطتها على سلطة الملكية الاسبانية في جميع الأمور دينية كانت أم غيرها [35] .

2 ـ سيطرة البابوية على جزر الممالك الانجلوسكسونية السبع " انكلترا " سيطرة تامة منذ نهاية القرن السادس الميلادي [36] .

3 ـ سيطرة البابوية على ألمانيا وهولندا وفرنسا في النصف الأول من القرن الثامن الميلادي [37] .

4 ـ سيطرة البابوية على الدانمارك والسويد في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي وبعدهما على النرويج [38] .

ثالثا ـ العامل الإجتماعي : وتمثل باهتمام البابوية بالخدمات الاجتماعية والصحية كأعمال العطف والاحسان وتقديم الصدقات للفقراء والمعوزين والتطبيب للمرضى مما جعل لها منزلة ورفعة عند الشعوب الغربية في حقبة يسودها النظام الاقطاعي [39].

وقد وجهت البابوية كنائسها بذلك حتى أصبح من مهام أساقفتها ما يلي :

1 ـ عيادة المرضى وتفقد أحوالهم .

2 ـ التطبيب وبناء المستشفيات .

3 ـ الصلاة على المحتضرين ودفن الموتى .

4 ـ افتداء أسرى الحروب .

5 ـ توزيع الصدقات على الفقراء والمحتاجين والأرامل والأيتام [40] .

وأدى ذلك إلى البابوية والأساقفة التابعين لها على قلوب الناس الذين انقادوا إليها ونفذوا مشيئتها فغدت مرجعيتهم العليا [41] .

رابعا ـ العامل العسكري : أولت البابوية الجانب العسكري اهتماما كبيرا حيث حققت الإنجازات التالية :

1 ـ تأسيس جيش نظامي للبابوية وتدريبه وتسليحه وتمويله وإعداده لخوض المعارك والحروب .

2 ـ تشييد القلاع وإقامة التحصينات وتحصين الأسوار .

3 ـ القيام بمهام القيادة العسكرية العامة للجيش .

4 ـ التفاوض مع الأعداء وعقد المعاهدات واتفاقيات الصلح .

5 ـ التفاوض مع الأصدقاء وعقد التحالفات واتفاقيات التعاون المشترك والائتلافات [42] .

وبلغت البابوية من القوة ما دفعها إلى إعلان أنها زعامة عالمية وسلطة عامة على الملوك والأباطرة والشعوب [43] ، وأعلن البابا جيلازيوس الأول (1 / آذار / 492 - 21 / تشرين الثاني / 496 م) أن العالم تحكمه قوتان هما القوة الروحية (وهي البابوية) والقوة الزمنية (وهم الملوك والأباطرة) وللقوة الروحية السيادة والزعامة على القوة الزمنية لأنها أداة تخليص الإنسان [44] ، يقول البابا غريغوريوس الرابع : (إن الحكومة التي يهيمن عليها البابا أعلى قدرا من السلطة الامبراطورية التي لا تعدو أن تكون زمنية

ومؤقتة) [45] ، وقد شبّه البابا " أنوسنت الثالث " البابوية بالشمس والامبراطورية بالقمر فالامبراطورية إنما تستمد شرعيتها (ضوءها) من شمس البابوية [46] .

وأصبح للبابوية الحق في منح التاج للإمبراطور ، وعليه فقد توّج البابا " ستيفن الرابع " لويس بن شارلمان ملكا بعد وفاة أبيه سنة (816 م) [47] ، بل أعلنت البابوية على لسان البابا " نيقولا الأول " (24 / نيسان / 858 م - 13 / تشرين الثاني / 867 م) بأن طاعة البابا واجبة لأنه هو السيد الآمر وأن كل ملك وحاكم لا يطيع أوامر الكنيسة يعتبر عاصيا ومستحقا للعن والحرمان [48] .

ومما تضمنته وثيقة البابا غريغوريوس السابع (22 / نيسان / 1073 م - 25 / أيار / 1085 م) من بين أمور أخرى ما يلي :

1 ـ إن الكنيسة الرومانية (البابوية) إنما أقامها الله وحده .

2 ـ للبابا وحده الحق وفقا لما تقتضيه الأحوال أن يسن القوانين الجديدة ، وأن ينشئ أبروشيات جديدة ، وأن يشيد الأديرة .

3 ـ للبابا وحده أن يستخدم العباءة الإمبراطورية .

4 ـ على كل الأمراء أن لا يخضعوا إلا للبابا وحده .

5 ـ للبابا وحده السلطة في عزل الأباطرة .

6 ـ ليس لأحد كائنا من يكون إلغاء قرارات البابا ، بينما للبابا إلغاء قرارات غيره من الناس

7 ـ يتمتع البابا بالحصانة فليس لأحد كائنا من يكون محاكمة البابا .

8 ـ يتصف البابا بالقداسة المستمدة من قداسة بطرس الرسول .

9 ـ للبابا السلطة في أن يحل الرعايا من يمين الولاء التي بذلوها للحكام والأمراء [49] .

إن قراءة واعية لنشأة البابوية وعوامل قوتها إنما تدل دلالة قطعية على أنها من صنع بشري وأنها لا تختلف كثيرا عن نشأة الإمبراطوريات والملكيات ولا تتباين عوامل القوة في كليهما بل أنها جميعا خاضعة لسنن التغيير الاجتماعي وظهور الدول وأفولها دون أن تستند في ذلك إلى معطيات الوحي الإلهي .

المبحث الثالث ـ أبعاد نفوذ البابوية وقوتها :

وترتبت على سعة نفوذ البابوية وتعاظم قوتها أبعاد محلية وإقليمية وعالمية تخطت حدود البلدان المسيحية ، يمكن اختصارها بما يلي :

أولا ـ الإستقلال السياسي : لما قويت شوكة البابوية وتعاظم نفوذها بدأ توتر خفي بينها وبين الامبراطورية البيزنطية ، ولما أشاعت البابوية مقولة أنها فوق الامبراطورية تزايد التوتر [50] ، وحتى اصدر الإمبراطور " ليو الايسوري (717 - 741 م) مرسوما بمنع

تقديس الأيقونات وألزم جميع المسيحيين بذلك لأنها طقوس وثنية ، فاعترض البابا " غريغوريوس الثاني" على ذلك وأعلن الحرمان الكنسي على الامبراطور وقطع كل صلة بين البابوية وبين الامبراطورية البيزنطية [51] ، واستقلت البابوية منذ عهد البابا " غريغوريوس الثالث " [52] .

وكذلك فقد رفضت البابوية ممثلة بالبابا غريغوريوس السابع أي تدخل من الملوك والأباطرة في شؤون الكنائس التابعة لها واستقلت عنهم ، بل وفرضت هيمنتها عليهم ، ومن أمثلة ذلك أنه عندما تدخل الإمبراطور الألماني هنري الرابع في شؤون الكنائس وتعيينات الأساقفة غضب عليه البابا وأمر جميع رعاياه وأتباعه بخلعه فانقلب الألمان عليه وساد الهرج والمرج وعمت الفتن وسفكت الدماء فاضطر الامبراطور إلى الاستسلام للبابوية في (22 / يناير / 1077 م) فعفى عنه البابا بعد أن أذله وأهانه وفرض عليه شروطا قاسية [53].

وحتى فرضت البابوية وصايتها وإملاءاتها على ملوك أوروبا فكانت لهجة خطابها الموجه إليهم لهجة الآمر الناهي ، ومن أمثلة ذلك ما ورد في خطاب البابا " بونيفاس الثامن " (24 / كانون الأول / 1294 م - 11 / تشرين الأول / 1303 م) الموجه إلى الملك " فيليب الرابع " ملك فرنسا (1285 - 1314 م) ، ونصه : (اسمع أي بني وصايا أبيك ... ولتأخذ جماع قلبك بتقاليد السيد الذي يحتل على الأرض مكان الرب) [54] .

ثانيا ـ الحروب الدينية : وتبنت البابوية مقولة الصراع الديني فنظرت لخوض الحرب ضد الإسلام والمسلمين في مجمع " كليمنت " (سنة 1095 م) حيث نادى البابا " أوربانوس الثاني " (12 / آذار / 1088 م - 29 / تموز / 1099 م) بضرورة قيام الحروب الصليبية فخطط لوقوعها وأعلنها حتى دخلت جيوشه بيت المقدس [55] .

ثالثا ـ الصراع على شرعية الحكم : وخاضت البابوية مع الأباطرة والملوك صراعات مريرة على شرعية الحكم تارة صراعا علنيا (المواجهة المباشرة) وأخرى صرعا خفيا (المؤامرات والدسائس) ، ومن أمثلة ذلك المواجهة العلنية بين البابا " أدريان الرابع " (1154 - 1159 م) وبين الامبراطور " فردريك الأول " سنة (1157 م) ، الذي أعلن أنه يستمد شرعية حكمه من الله وأن إمبراطوريته إلهية وهي البديل الدنيوي للبابوية ذات الملكوت في العالم الآخر وأن السيادة للقانون ولذا فإن الامبراطور هو المشرف على البابوية بكنائسها ، وقد رد البابا بأن مكانة الامبراطور أدنى مرتبة من مرتبة الأسقف وأنه لا تصح المقارنة بين المكانتين بأي حال من الأحوال ، وأن سلطة الامبراطور مستمدة من البابا ، وسلطة البابا مستمدة من الله مباشرة ، وقد خسر الامبراطور في مواجهته هذه وخضع للبابا مرغما [56] ، ولكنه بعد وفاة البابا " أدريان الرابع " أظهر الامبراطور تمسكه بآرائه مجددا فأصدر البابا " إسكندر الثالث " (7 / أيلول / 1159 م - 30 / آب / 1181 م) قرارا بابويا بالحرمان الكنسي ضد الامبراطور وأحل الرعية من يمين الولاء للإمبراطور في سنة (1159 م) وكرره في سنة (1163 م) ، وقد دعم قرار البابا هذا ملوك أوروبا وأمراؤها وإقطاعيوها المتحالفون مع البابوية مما اضطر الامبراطور " فردريك الأول " إلى الخضوع للبابا وركوعه عند قدميه سنة (1177 م) [57] .

وقد خضع ملوك أوروبا لسلطة البابوية تحت سطوة الحرمان الكنسي ودفع الجماهير إلى الثورة على ملوكها كملك فرنسا " فليب أوغسطس " والذي بلغ أمره إلى حد تدخل البابا " أنوسنت الثالث " في زواج الملك وطلاقه [58] ، وكذلك الحرمان الكنسي الذي أصدره هذا البابا ضد " الملك يوحنا " ملك انكلترا وأحل رعيته من يمين الولاء له بسبب اختلافهما في التعيينات الكنسية في انكلترا حتى اضطر الملك إلى الاستسلام الذليل لمندوب البابوية [59] ، والحرمان الكنسي الذي أصدره البابا غريغوريوس التاسع (19 / آذار / 1227 م - 22 / آب / 1241 م) ضد الامبرطور " فردريك الثاني " وأحل رعيته من يمين الولاء له سنة (1227 م) بذريعة تأخره عن الخروج في حملة صليبية ضد المسلمين [60] ، وأيضا الحرمان الكنسي الذي أصدره البابا " إنوسنت الرابع " (25 / حزيران / 1243 م - 7 / كانون الأول / 1254 م) ضد هذا الامبرطور نفسه مشفوعا بقرار البابوية بعزله من منصب الامبراطورية بسبب الصراع بين الطرفين ودسائسهما ومؤامراتهما ضد بعضهما [61] .

رابعا ـ قمع الحركات المدنية : وواجهت البابوية الحركات المدنية بالاضطهاد والتنكيل ومن تلك الحركات الثورة التي قادها " أرنولد أوف بريشيا " في إيطاليا وألمانيا من أجل تحقيق الحرية المدنية ، والفصل التام بين الكنيسة والدولة بمقولة أن البابوية مرجعية دينية فقط مملكتها في العالم الآخر وأن الحكم والسلطة السياسية للشعب وحكامه المدنيين ، فقضت البابوية بزعامة البابا " أدريان الرابع " على هذه الثورة بعد أن نكلت بالثوار وأعدمت زعيم الثورة سنة (1155 م) [62] .

خامسا ـ الاضطهاد الطائفي : وفي بداية القرن الثالث عشر الميلادي احتل الصليبيون عاصمة البيزنطيين " القسطنطينية " فأمر البابا " أنوسنت الثالث " بخلع بطريقها " يوحنا العاشر " والذي كان أرثوذكسي المذهب وانتخاب بطريركا كاثوليكيا مكانه ، وأمر بخلع الأساقفة الأرثوذكس وملاحقتهم وتعيين أساقفة كاثوليك بديلا عنهم لفرض سيادة البابوية وسلطتها المطلقة على الكنيسة البيزنطية الأرثوذكسية [63] .

وعليه نستنتج أن البشرية قد دفعت ثمنا باهضا لتسلط البابوية وأن سيولا جارفة من دماء الضحايا سببتها قوة البابوية مشفوعة بآلام الملايين وأن نفوذها أذكى دسائس المتآمرين وحيل المحتالين .

المبحث الرابع ـ ضعف البابوية وعوامل تدهورها :

وبحلول القرن الرابع عشر الميلادي بدأت مركزية البابوية تتصدع وسطوتها تضعف وهيبتها تخبو تدريجيا لعوامل مختلفة وأسباب متعددة ، أهمها :

أولا : رد فعل الشعوب والجماهير على سطوة البابوية وتسلطها على الملوك وسيطرتها على مقدرات الأمم مما سبب تذمر الشعوب واستهجان الجماهير وشعور الناس بالظلم

والقهر والاضطهاد لأنهم وقود وضحايا الصراع المحتدم بين البابوية من جهة والأباطرة والملوك من جهة أخرى [64] .

ثانيا : فصل البابوية عن كرسي القديس بطرس لمدة اثنين وسبعين عاما وذلك بنقل مقرها من مدينة " روما " الايطالية إلى مدينة " أفينون " الفرنسية (1305 م - 1377 م) [65] ، وقد نتج عن ذلك ما يلي :

1 - تزعزع هيبة البابوية وبريق رفعتها في نفوس الشعوب الأوروبية لاعتقادهم أن روما هي موضع الكرسي الرسولي للقديس بطرس [66] .

2 - إضعاف مركز البابوية لوقوعها تحت نفوذ ملك فرنسا مما أثار حفيظة ملوك وأمراء أوروبا الآخرين .

3 - قطع موارد مالية كبيرة كانت تجبى من البلدان الأوروبية للبابوية .

4 - إلغاء انكلترا حق البابا في تعيين الوظائف الكنسية الشاغرة في كنائسها ، وامتناعها عن دفع الضرائب للبابوية ، بل ومطالبة بعض أعضاء برلمانها بعدم الخضوع للبابوية ومصادرة ممتلكاتها في انكلترا [67] .

ثالثا : انقسام البابوية للمدة الزمنية (1378 - 1417 م) إلى ثلاث بابوات :

1 - بابا في مدينة روما الإيطالية فبعد أن استقر البابا غريغوريوس الحادي عشر (30 / كانون الأول / 1370 م - 26 / آذار / 1378 م) في مدينة روما سنة (1377 م) اتخذ قصر الفاتيكان مقرا لإقامته وإقامة خلفائه إلى اليوم ، وبعد وفاته اختير البابا " أوربان السادس " (7 / نيسان / 1378 م - 1389 م) ليكون بابا روما .

2 - بابا في مدينة أفينون الفرنسية حيث اختار الكرادلة الفرنسيون في سنة (1378 م) البابا " كلمنت السابع " (1378 - 1394 م) ليكون بابا أفينون .

2 - بابا في مدينة بيزة الإيطالية حيث بحث بعض الكرادلة معضلة انقسام البابوية في المجمع الذي عقدوه في مدينة بيزة سنة (1409 م) فقرروا عزل كل من بابا روما وبابا أفينون وانتخبوا البابا " اسكندر الخامس " (1409 - 1410 م) ليكون بابا بيزة .

وانتهى هذا الانقسام عندما عقد المجمع المسكوني السادس عشر " مجمع كونستانسيا " برعاية الامبراطور " سيجسموند " امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة (1411 - 1437 م) واستمرت أعمال هذا المجمع لأربعة أعوام (كانون الأول / 1414 م -) ، وقرر المجمع بشأن انقسام البابوية ما يلي :

أ - إدانة بابا بيزة " البابا حنا الثالث والعشرون (1410 - 1415 م) وعزله من منصبه سنة (1415 م) .

ب - دفع بابا روما " البابا غريغوريوس الثاني عشر (1406 - 1415 م) إلى تقديم استقالته من منصب البابوية سنة (1415 م) .

ت ـ عزل بابا أفينون " البابا بندكت الثالث عشر (1394 - 1422 م) " من منصب البابوية سنة (1417 م) لتمسكه بها ورفضه الاستقالة .

ث ـ انتخاب الكاردينال الإيطالي " كولونا " المسمى بـ " البابا مارتن الخامس (1417 - 1431 م) ليكون هو البابا وأجلسوه على كرسي البابوية في روما [68] .

رابعا ـ فساد البابوية المالي : ومن أبرز مظاهره :

1 ـ اهتمام البابوية بجباية الأموال وتحصيل النذور وتحقيق الثراء وامتلاك الأراضي [69] ، حتى أرهقوا كاهل الشعوب الأوروبية فضجت مستنكرة ومتألمة ومتذمرة [70] .

2 ـ بيع صكوك الغفران بأموال طائلة [71] .

3 ـ اغداق الأموال الطائلة على الفنانين الذين يخلدون البابوات بأعمالهم الفنية [72] .

الأمر الذي دفع بعض الباحثين الكاثوليك إلى الاعتراف بأن البابوية حينئذ كانت بلاط دنيوي غني فاسد [73] .

خامسا ـ فساد البابوية الإداري : وتجلى بعدم اهتمام بعض البابوات بالأمور الكنسية [74] ، وحتى أصبحت البابوية عاجزة عن القيام بواجباتها القيادية ومسؤولياتها التوجيهية [75] .

سادسا ـ فساد البابوية الأخلاقي : وتفشت في البابوية ظاهرة الانحطاط الخلقي فأصبحت أديرتها وكنائسها أماكن فجور ونوادي إباحية [76] ، حتى انهمك عدد من البابوات في اقتراف الفواحش وارتكاب الرذائل وغض الطرف عن مغامرات الكرادلة الجنسية [77] ، ومن أمثلة ذلك أن البابا إنوشنتيوس الثامن (29 / آب / 1484 - 25 / تموز / 1492 م) أنجب ولدين غير شرعيين من عشيقته ، وأما البابا " اسكندر السادس " (1492 -) فقد أنجب من عشيقاته خمسة أبناء غير شرعيين ، وكذلك البابا بولس الثالث (13 / تشرين الأول / 1534 - 10 / تشرين الثاني / 1549 م) ، وأما البابا " لاوون العاشر " (11 / آذار / 1513 - 1 / كانون الأول / 1521 م) فقد كان يرتكب فاحشة اللواط [78] .

سابعا ـ الإخلال بالواجب الديني : وتجلى بعدم اهتمام بعض البابوات بالأمور الروحية للمسيحيين [79] ، حتى كان الفتور الديني سمة أغلبهم وتحولت الأديرة إلى أوكار للخرافة والكنائس صروح للجهل [80] .

ثامنا : تخلي الملوك عن دعم البابوية بل وسعيهم إلى إذلالها ، حتى سلّم بعض البابوات إدارة الكنيسة إلى الملوك [81] ، ففي ألمانيا وتحديدا سنة (1356 م) ألغى الإمبراطور " شارل الرابع " أي حق للبابوية في انتخاب الإمبراطور [82] ، وفي فرنسا ألغى الملك " شارل السابع " في سنة (1438 م) سلطة البابا على الكنائس الفرنسية ولتصبح منذ ذلك الحين خاضعة لسلطات الملك فبيده تعيين أساقفة الكنائس ومنتسبيها ، وكذا في إسبانيا حينما أصدر ملكها " فردناند وايزبيلا " مرسوما بذلك سنة (1442 م) [83] ، وقد أذل الجيش الإسباني البابوية وأهانها سنة (1527 م) عندما دخل روما فسلب ما فيها ونهب موجوداتها وأسر البابا " كلمنت السابع " (1523 - 1534 م) [84] ، كما أذل البابوية ملك

فرنسا " نابليون بونابرت " سنة (1797 م) حينما دخل بجيشه روما فأجبرها على أن تدفع له الأموال وأن تتنازل له عن كل الأراضي الفرنسية الخاضعة لها بل وعن مساحات شاسعة من المناطق والأقاليم المجاورة لإيطاليا ، ومنها : " جمهورية الألب الشمالية " و " جنوة " [85] ، ومنعت الحكومة الإيطالية في سنة (1929 م) أي تدخل للبابوية في شؤون بلادها ، وبذلك اقتصرت سلطة البابوية على " دولة الفاتيكان " والتي لا تتعدى مساحتها " 110 أفدنة " داخل مدينة روما دون أن يحق لها المشاركة في المؤتمرات السياسية الدولية أو إبرام معاهدات مع الدول الأخرى [86].

تاسعا : الجدل الديني في البابوية من حيث مشروعيتها ودورها ومسؤولياتها وواقعها وسلطاتها وانجازاتها ، الأمر الذي أدى إلى تنامي الأفكار الدينية المسيحية المناهضة للبابوية وظهور الحركات المناوئة لها ، وأهمها :

1 ـ حركة الوالدنسيين : وهي حركة ظهرت في جنوب فرنسا سنة (1177 م) بزعامة " بطرس والدو " وانتشرت في أماكن متعددة من أوروبا بما في ذلك شمال إيطاليا ، وفلسفتها أن واقع البابوية ومراتبها الكنسية وحال رجالها تتعارض مع تعاليم المسيحية وتتنافى مع رسالة القديسين ، وأن الطقوس الدينية يؤديها المؤمنون من دون وساطة رجال الكنيسة [87] .

2 ـ حركة اللاهوتي الانكليزي " يوحنا ويكليف " (1328 - 1384 م) الذي أعلن أن البابوية لا تصلح أن تكون خلافة للمسيح فلا بد من التحرر من سطوتها ، وأن البابا ضد للمسيح فلا يصح الخضوع له [88] .

3 ـ حركة الدكتور " يوحنا هس " (1373 - 1415 م) والذي تبنى مواقف وآراء اللاهوتي الانكليزي " يوحنا ويكليف " حتى استقلت كنائس دولة " بوهيميا " عن البابوية تماما في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي [89] .

4 ـ حركة المصلح " آرازمس " (1466 - 1536 م) في هولندا وفرنسا وإنكلترا وإيطاليا وألمانيا والداعية إلى إصلاح البابوية من مفاسدها والتي شخصتها هذه الحركة بأنها فساد مالي (الطمع والجشع والاثراء) ، وفساد اجتماعي وسيسي (نشر الفتن والفرقة وإشعال الحروب) ، وفساد ديني (التلكؤ في الواجبات الروحية وإهمال الفكر) ، وسعت هذه الحركة إلى كسر احتكار البابوية لمعارف الكتاب المقدس عندما ترجمه " آرازمس " وتداول الناس ترجمته [90] .

5 ـ حركة الاصلاح الديني " البروتستانتية " بزعامة " مارتن لوثر " (1483 - 1546 م) في ألمانيا و " جون كلفن " (1509 - 1564 م) في سويسرا ، والتي أضعفت البابوية وحدّت كثيرا من صلاحياتها وسلطتها وأحدثت انشقاقا في الكنيسة الكاثوليكية [91] .

عاشرا : حركية عوامل التغيير الأوروبية وأبعادها السياسية (استقلالية البلدان عن البابوية وتحرر الشعوب من الخضوع لها وفرض سلطة الحكومات على الكنائس) [92] ، والثورية (الثورة الفرنسية سنة " 1789 م " ، والثورة الإيطالية سنة " 1860 م ")

والفكرية (النقد العلمي لأصول المسيحية ، والتفكير المنطقي في عقائدها ، والإشكاليات الفلسفية في مسلماتها ومصادرها ، والبحث الموضوعي في أسس البابوية ومشروعيتها ، وما تعلق بذلك من مناقشات ومجادلات وأطروحات ونظريات ومساجلات) [93] .

وبذلك انحسرت سلطة البابوية لتصبح أدبية فقط ومرجعية دينية للطائفة الكاثوليكية فحسب .

الخاتمة ونتائج البحث :

نستنتج من مباحث هذا البحث ومطالبه الحقائق العلمية التالية :

1 ـ لا علاقة للسيد المسيح (ع) بالبابوية لا من قريب ولا من بعيد فلم ينص عليها ولم يشر إليها ولم يأمر بها .

2 ـ إن البابوية مركزية دينية صنعتها السياسة ممثلة بإرادات الإمبراطورية والمصالح الشخصية لأساقفة روما وكرادلتها السائرين على نهج بولس .

3 ـ لا دليل على مشروعية البابوية لا من أقوال المسيح (ع) ولا من نصوص الأناجيل ولا من حكم العقل .

4 ـ نتج عن تسلط البابوية على رقاب الناس ملايين الضحايا من القتلى والجرحى والمعذبين والمضطهدين ، وويلات الحروب ، وعدم استقرار الشعوب ، وتطاحن الأمم ، والصراعات والمنازعات بين البلدان والأقاليم .

5 ـ إن ردود فعل مظالم البابوية لدى الشعوب الأوروبية ، ومناهضتها فساد البابوية المالي والإداري والأخلاقي وبزوغ نور الفكر الحر وشيوع مبادئ العدل والسلام كل ذلك قد أطاح بهيبة البابوية وقوض سلطاتها وجعلها تنكفئ في مساحة صغيرة لتمارس دورا وعظيا أدبيا فقط .

6 ـ إن الدعوات إلى إعادة أمجاد مركزية البابوية إنما هي دعوات إلى إعادة كل تلك المآسي التي طوتها صفحات التاريخ ، الأمر الذي يعني الدعوة إلى المزيد من النزاع والشقاق والصراع في عالم اليوم المضطرب .

الهوامش والمصادر

---

[1] د. أسد رستم / الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، الطبعة الأولى ، الناشر : دار المكشوف ، (بيروت ، 1956 م) : 1 / 96 ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : ص51 .

[2] الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب : 2 / 981 .

[3] آل عمر :محمد بن علي بن محمد / الطائفة الكاثوليكية فرقها وعقائدها وأثرها على العالم الإسلامي ـ أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الدعوة وأصول الدين ـ جامعة أم القرى ، (السعودية ، 1428 هـ / 2007) : ص72 .

[4] قاموس الكتاب المقدس : ص824 ، الموسوعة العربية الميسرة : 1 / 296 ، سعد رستم / الفرق والمذاهب المسيحية : ص77 .

[5] إنجيل متى : 16 / 18 - 19 .

[6] إدوارد جيبون / اضمحلال الامبراطورية الرومانية : 1 / 762 .

[7] د. السيد الباز العريني / تاريخ أوروبا ـ العصور الوسطى : ص162 ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : ص51 .

[8] د. رأفت عبد الحميد / الفكر السياسي الأوروبي في العصور الوسطى : ص52 .

[9] يان دوبراتشينسكي / / أوروبا والمسيحية : 2 / 167.

[10] آل عمر / الطائفة الكاثوليكية : ص79 .

[11] الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها : 1 / 46 .

[12] الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها : 1 / 75 .

[13] د. عبد الحميد البطريق و د. عبد العزيز نوار/ التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا : ص88 ، د.سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : 1 / 516.

[14] قاموس الكتاب المقدس : ص824 ، الموسوعة العربية الميسرة : 1 / 296 ، سعد رستم / الفرق والمذاهب المسيحية : ص77 .

[15] آل عمر / الطائفة الكاثوليكية : ص72 وما بعدها .

[16] المجمع اللاتراني الثالث : هو المجمع المسكوني الحادي عشر والمنقعد في (5 - 19 / آذار / 1179 م) .

[17] آل عمر / المصدر السابق : ص74 .

[18] مجمع ليون الثاني : هو المجمع المسكوني الرابع عشر والمنقعد في (7 - 17 / تموز / 1274 م) .

[19] الأب جان كمبي / دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة : ص174 ، يان دوبراتشينسكي / أوروبا والمسيحية ، ترجمة : د. كبرو لحدو : 2 / 281 ، إدوارد جيبون / اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، ترجمة : د. محمد سليم سالم : 3 / 262 - 264 .

[20] هـ . سانت موس / ميلاد العصور الوسطى : ص342 .

[21] آل عمر / الطائفة الكاثوليكية : ص101 .

[22] أندرو ملر / مختصر تاريخ الكنيسة : ص 225 ، جون . أ . هامرتن / تاريخ العالم : 4 / 542 وما بعدها ، إدوارد جيبون / اضمحلال الامبراطورية الرومانية : 2 / 381 ، يان دوبراتشينسكي / أوروبا والمسيحية : ص236 .

[23] د. سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : ص26 ، جون . أ . هامرتن / تاريخ العالم : 4 / 542 .

[24] د. عادل زيتون / العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى : ص99 .

[25] د. عادل زيتون / المصدر السابق : ص99 ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : ص99 .

[26] يان دوبراتشينسكي / أوروبا والمسيحية : 1 / 110 ، د. السيد الباز العريني / تاريخ أوروبا ـ العصور الوسطى : ص99 .

[27] د. نور الدين حاطوم / تاريخ العصر الوسيط في أوروبا : ص 77 وما بعدها .

[28] إصدار : وليام لانجر / موسوعة تاريخ العالم : 2 / 403 - 404 ، هـ . سانت موس / ميلاد العصور الوسطى : ص115 - 116 110 ، د. السيد الباز العريني / تاريخ أوروبا - العصور الوسطى : ص 122 ، د. نور الدين حاطوم / تاريخ العصر الوسيط في أوروبا : ص75 .

[29] إشراف : موريس كروزيه / تاريخ الحضارات العام : 2 / 623 ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : ص48 - 49 .

[30] آل عمر / الطائفة الكاثوليكية : ص82 .

[31] جون . أ . هامرتن / تاريخ العالم : 4 / 549 ، هـ . سانت موس / ميلاد العصور الوسطى : ص 346 .

[32] د. عادل زيتون / المصدر السابق : ص102 ، يان دوبراتشينسكي / أوروبا والمسيحية : 1 / 237 وما بعدها ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : ص160 وما بعدها .

[33] الموسوعة العربية الميسرة : ص117.

[34] جاد المنفلوطي / تاريخ المسيحية - المسيحية الوسطى : 2 / 35 .

[35] هـ . سانت موس / المصدر السابق : ص326 .

[36] د. سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : ص 90 .

[37] جون . أ . هامرتن / تاريخ العالم : 4 / 547 ، هـ . سانت موس / ميلاد العصور الوسطى : ص 330 ، أندرو ملر / مختصر تاريخ الكنيسة : ص 206 .

[38] يان دوبراتشينسكي / أوروبا والمسيحية : 1 / 307 وما بعدها .

[39] آل عمر / الطائفة الكاثوليكية : ص86 .

[40] جون . أ . هامرتن / تاريخ العالم : 4 / 352 ، موريس كروزيه / تاريخ الحضارات العام - روما وإمبراطوريتها : 2 / 615 .

[41] د. سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : ص 46 ، جاد المنفلوطي / المصدر السابق :ص 32 .

[42] هـ . سانت موس / المصدر السابق : ص323 وما بعدها ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : ص 116 وما بعدها .

[43] جون . أ . هامرتن / المصدر السابق: 4 / 545 ، د. السيد الباز العريني / المصدر السابق : ص162 وما بعدها ، الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها : 1 / 118 .

[44] الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها : 1 / 118 ، د. عادل زيتون / المصدر السابق : ص101 ، إصدار : وليام لانجر / موسوعة تاريخ العالم : 2 / 401.

[45] د. سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : ص 293 .

[46] الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها : 1 / 257 .

[47] آل عمر / الطائفة الكاثوليكية : ص90 .

[48] د. نور الدين حاطوم / المصدر السابق : ص220 ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : ص 293 .

[49] ، يان دوبراتشينسكي / أوروبا والمسيحية : 2 / 50 ، د. نور الدين حاطوم / المصدر السابق : ص680 ، أندرو ملر / مختصر تاريخ الكنيسة : ص 192 ، د. أحمد شلبي / المسيحية : ص 212 .

[50] هـ . سانت موس / المصدر السابق : ص323 وما بعدها .

[51] إدوارد جيبون / المصدر السابق : 2 / 372 .

[52] د. سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : ص 122 .

[53] الأب جان كمبي / دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة : ص175 ، يان دوبراتشينسكي / أوروبا والمسيحية : 2 / 53 - 54 ، ول ديورانت / قصة الحضارة : 14 / 397 وما بعدها ، أندرو ملر / مختصر تاريخ الكنيسة : ص 247 وما بعدها.

[54] د. رأفت عبد الحميد / المصدر السابق : ص66 .

[55] د. عادل زيتون / المصدر السابق : ص106 ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : ص319 ، وليام لانجر / موسوعة تاريخ العالم : 2 / 602 ، أندرو ملر / مختصر تاريخ الكنيسة : ص 258 ، جون . أ . هامرتن / المصدر السابق: 4 / 742 .

[56] ول ديورانت / المصدر السابق : 15 / 173 ، أندرو ملر / مختصر تاريخ الكنيسة : ص 280 ، د. السيد الباز العريني / المصدر السابق : ص538 ، د. رأفت عبد الحميد / الفكر السياسي الأوروبي في العصور الوسطى : ص46 .

[57] د. رأفت عبد الحميد / المصدر السابق : ص48 ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : ص336 ، د. السيد الباز العريني / المصدر السابق : ص545 .

[58] يان دوبراتشينسكي / / أوروبا والمسيحية : 2 / 169 .

[59] أندرو ملر / مختصر تاريخ الكنيسة : ص 318 .

[60] د. رأفت عبد الحميد / المصدر السابق : ص60 ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور / المصدر السابق : ص353 ، يان دوبراتشينسكي / أوروبا والمسيحية : 2 / 217 ، أندرو ملر / مختصر تاريخ الكنيسة : ص 277.

[61] د. رأفت عبد الحميد / المصدر السابق : ص63 ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : ص359 ، وليام لانجر / موسوعة تاريخ العالم : 2 / 611 ، الأب جان كمبي / دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة : ص176 ، يان دوبراتشينسكي / أوروبا والمسيحية : 2 / 249 ، ول ديورانت / قصة الحضارة : 15 / 295.

[62] أندرو ملر / مختصر تاريخ الكنيسة : ص 277 ، وليام لانجر / موسوعة تاريخ العالم : 2 / 105 .

[63] يان دوبراتشينسكي / أوروبا والمسيحية : 2 / 177 ، د. عادل زيتون / المصدر السابق : ص392.

[64] أندرو ملر / مختصر تاريخ الكنيسة : ص 251 ، . سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : ص314 ، جون . أ . هامرتن / المصدر السابق: 4 / 554.

[65] وليام لانجر / موسوعة تاريخ العالم : 3 / 275 ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : 1 / 510 .

[66] وليام لانجر / موسوعة تاريخ العالم : 3 / 275 ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور / المصدر السابق : 1 / 510 .

[67] أندرو ملر / مختصر تاريخ الكنيسة : ص 374 ، الأب جان كمبي / دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة : ص206 ، د. القس جون لوريمر / تاريخ الكنيسة ، ترجمة : عزرا مرجان : 4 / 31. سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : 1 / 483 وما بعدها ، يان دوبراتشينسكي / أوروبا والمسيحية : 3 / 5 .

[68] وليام لانجر / موسوعة تاريخ العالم : 3 / 778 وما بعدها ، الأب جان كمبي / دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة : ص210 - 211 ، د. القس جون لوريمر / تاريخ الكنيسة ، ترجمة : عزرا مرجان : 4 / 32 ، وما بعدها ، د.سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : 1 / 514 وما بعدها ، يان دوبراتشينسكي / أوروبا والمسيحية : 3 / 72 وما بعدها ، أندرو ملر / مختصر تاريخ الكنيسة : ص 399 وما بعدها ، إدوارد جيبون / اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها : 3 / 290 وما بعدها .

[69] آل عمر / الطائفة الكاثوليكية : ص106 .

[70] د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي / العلمانية : ص143 .

[71] د. عبد الحميد البطريق و د. عبد العزيز نوار/ التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا : ص93 .

[72] د. عبد الحميد البطريق و د. عبد العزيز نوار/ التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا : ص35 ، الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها : 1 / 375 .

[73] د. القس جون لوريمر / تاريخ الكنيسة : 4 / 35 .

[74] آل عمر / الطائفة الكاثوليكية : ص106 .

(75) ساجد مير / المسيحية : ص359 .
(76) د. عبد الحميد البطريق و د. عبد العزيز نوار/ التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا : ص88 ، د.سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : 1 / 520 ، أندرو ملر / مختصر تاريخ الكنيسة : ص 363 ، د. القس جون لوريمر / تاريخ الكنيسة : 4 / 35 ، رولان موسنييه / تاريخ الحضارات العام : 4 / 70 .
(77) د. القس جون لوريمر / تاريخ الكنيسة : 4 / 35 .
(78) ساجد مير / المسيحية : ص359 وما بعدها .
(79) آل عمر / الطائفة الكاثوليكية : ص106 .
(80) د. عبد الحميد البطريق و د. عبد العزيز نوار/ التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا : ص88 ، د.سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : 1 / 520 ، أندرو ملر / مختصر تاريخ الكنيسة : ص 363 ، د. القس جون لوريمر / تاريخ الكنيسة : 4 / 35 ، رولان موسنييه / تاريخ الحضارات العام : 4 / 70 .
(81) د. عبد الحميد البطريق و د. عبد العزيز نوار/ التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا : ص92 ، د.سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : 1 / 588 ، د. عبد الرحيم عبد الرحمن / التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر : ص63 ، د. نور الدين حاطوم / تاريخ عصر النهضة الأوروبية : ص196.
(82) د.سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : 1 / 592 .
(83) د. عبد الحميد البطريق و د. عبد العزيز نوار/ التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا : ص92 .
(84) وليام لانجر / موسوعة تاريخ العالم : 4 / 1062 ، د. عبد الحميد البطريق و د. عبد العزيز نوار/ التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا : ص75 .
(85) هـ . أ . ل . فشر / تاريخ أوروبا في العصر الحديث (1789 - 1950 م) ، تعريب : أحمد نجيب هاشم ، وديع الضبع : ص49 .
(86) آل عمر / الطائفة الكاثوليكية : ص111 .
(87) د.سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : 1 / 222.
(88) د.سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : 1 / 522 وما بعدها ، أندرو ملر / مختصر تاريخ الكنيسة : ص 387 ، د. القس جون لوريمر / تاريخ الكنيسة : 4 / 51 .
(89) د.سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : 1 / 525 وما بعدها ، أندرو ملر / مختصر تاريخ الكنيسة : ص 399 وما بعدها ، د. القس جون لوريمر / تاريخ الكنيسة : 4 / 55 وما بعدها .
(90) د. عبد الحميد البطريق و د. عبد العزيز نوار/ التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا : ص89 .
(91) د. القس جون لوريمر / تاريخ الكنيسة : 4 / 51 ، الأب جان كمبي / دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة : ص223.
(92) د.سعيد عبد الفتاح عاشور / تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : 1 / 510 الأب جان كمبي / دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة : ص223.
(93) د. عبد الرحيم عبد الرحمن / التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر : ص75 .

ملخص البحث

شغلت البابوية الأوساط الدينية (مسيحية كانت أم غيرها) لأكثر من ستة عشر قرنا سواء كان ذلك فيما يتعلق بمفهومها أم بمشروعيتها أم بأبعادها الدينية والتاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وأثر ذلك على الأمم والشعوب بأجيالها طيلة تلك المدة الزمنية .

وفي خضم الصراع المحتدم اليوم بين الحضارات والمساجلات بين الثقافات والمجادلات بين الرؤى ظهرت هنا وهناك في العالم المسيحي دعوات إلى الالتفاف حول البابوية والمناداة بضرورة مركزيتها .

والبابوية في حقيقتها رتبة أسقفية ومركزية سلطوية يتقلدها أسقف كنيسة روما بصفته المسؤول الأول في الطائفة الكاثوليكية لأنه حسب رؤيتهم أصبح قمة الهرم الإداري والمرجع الروحي فيها ، كما أن مفهوم البابوية لا يمت إلى المسيح بصلة لا من حيث الزمان ولا المكان ، لأنه مصطلح لم يستخدم في زمانه ولم تعرف تلك المفردة في لغته ولم يكن لتلك الرتبة وجود في عصره ولم يشر إليها لا بقول ولا بفعل ولا بتقرير لا تصريحا منه ولا تلميحا ، ولذا فإن مشروعية البابوية مجرد ادعاء من البابوات دون دليل لا من أقوال المسيح ووصاياه ولا من نصوص الأناجيل ولا من حكم العقل .

إن لإيمان غالبية المسيحيين بمقولة خلافة البابوية للقديس بطرس قد منحها الزعامة الدينية والسلطة الروحية والتي تعاظمت ليخضع لسلطانها حتى الملوك والأباطرة ، ولذا أصبحت البابوية مرجعية دينية ورئاسة سياسية وقيادة عسكرية ذات أبعاد استراتيجية في المعادلات الاقليمية والعلاقات الدولية .

إن قراءة واعية لنشأة البابوية وعوامل قوتها إنما تدل دلالة قطعية على أنها من صنع بشري وأنها لا تختلف كثيرا عن نشأة الإمبراطوريات والملكيات ولا تتباين عوامل القوة في كليهما بل أنها جميعا خاضعة لسنن التغيير الاجتماعي وظهور الدول وأفولها دون أن تستند في ذلك إلى معطيات الوحي الإلهي .

لقد دفعت البشرية قد دفعت ثمنا باهضا لتسلط البابوية وأن سيولا جارفة من دماء ملايين الضحايا من القتلى والجرحى والمعذبين والمضطهدين ، وويلات الحروب ، وعدم استقرار الشعوب ، وتطاحن الأمم ، والصراعات والمنازعات بين البلدان والأقاليم ، ولذا فإن ردود فعل الشعوب الأوروبية على مظالم البابوية ، ومناهضتها فساد البابوية المالي والإداري والأخلاقي وبزوغ نور الفكر الحر وشيوع مبادئ العدل والسلام كل ذلك قد أطاح بهيبة البابوية وقوض سلطاتها وجعلها تنكفئ في مساحة صغيرة لتمارس دورا وعظيا أدبيا فقط .

وأخيرا فإن الدعوات إلى إعادة أمجاد مركزية البابوية إنما هي دعوات إلى إعادة كل تلك المآسي التي طوتها صفحات التاريخ ، الأمر الذي يعني الدعوة إلى المزيد من النزاع والشقاق والصراع في عالم اليوم المضطرب

ABSTRACT

Occupied the papal religious communities (Christian's mother, etc.) for more than six centuries, whether in relation to sense or Bparweitha or dimensions of religious, historical, political, social, economic, and the impact on nations and peoples Bojialha throughout that period of time.

In the midst of the conflict raging today between civilizations and cultures between the rhetoric and arguments between the visions appeared here and there in the Christian world calls to rally around the need to call the Papal and centrality.

The papacy, in fact, the rank of bishopric and centralized authoritarian community holds Bishop of the Church of Rome as the first responsible in the Catholic community because according to their vision became a top administrative hierarchy and reference the spiritual which, as the concept of the papacy does not die to Christ bulb not in terms of time or place, because the term was not used in his time did not know the individual in his own language was not to that level and the presence of his day did not refer to it not by saying or doing or the report does not permit it, nor a hint, and therefore the legitimacy of the papacy just claim of the popes without a guide, not the words of Christ and His commandments nor the texts of the Gospels and of the rule the mind.

The faith of the majority of Christians proverb succession of the papacy of St. Peter had granted religious leadership and spiritual authority, which has grown to be subject to the jurisdiction thereof to the kings and emperors, and so became the Papal religious authority and the presidency of political and military command-dimensional strategy in the equations of regional and international relations.

Reading the conscious to the emergence of the papacy and the factors of strength but show significant categorical as-made human and it does not differ much from the emergence of empires and monarchies do not vary strengths in both, but they are all subject to the laws of social change and the emergence of states and the eclipse without being based on that to the data of divine revelation.

I have paid humanity has paid a heavy price to shed the papacy and the floods sweeping the blood of millions of victims of the dead and wounded and the suffering and the oppressed, and the ravages of war, and the instability of the peoples, Tills Nations, conflicts and disputes between countries and regions, and therefore the reactions of the peoples of Europe on the grievances of the papacy,

and the campaign against corruption Papal financial, administrative and moral light and the emergence of free thought and the prevalence of the principles of justice and peace for all that has toppled the prestige of the papacy and undermined their authority and make it Tnkvi in a small space to exercise a role and Azia morally just.

Finally, the glories of invitations to re-centralized papacy but a re-invitations to all of those tragedies that Tutea the pages of history, which means that the call for more conflict and discord and conflict in the troubled world of today.

مجلة كلية الفقه